مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــرام المـــائى
التاريخ : ٢٠٠١/٧/٨

مذكرة دفاع فيلمية عن بطل الحرب والسلام

يوم الثلاثاء 2001/6/19 أقيم العرض الخاص للفيلم الحدث «أيام السادات» في التاسعة إلا خمس دقائق تماما دخل أحمد زكي «السادات» مع جيهان السادات وأبنائهما وأحفادهما، لم يحضر من رموز حكم السادات سوى «مصطفى خليل» رئيس الوزراء الأسبق و«منصور حسن» وزير الإعلام الأسبق، قدم «أحمد زكي» العرض بكلمة شكر فيها الحضور ومن ساندوا الفيلم، وطلب من الناس أن يشاهدوا الفيلم بعيدا عن الأفكار المسبقة، وأضاف أن هذا فيلم سينما.. سينما مصرية.

وبعيدا عن الأفكار المسبقة، وحزبي ناصر أو السادات، شاهدت الفيلم وحبست دموعي مع مشهد البداية لجنازة عبد الناصر، وحتى ما يزيد عن الساعة، كانت الأحداث السياسية التي عاشها السادات في سنوات حكم عبد الناصر تلقي ظلالا مريرة على شخصية السادات ويتقاطع معها العودة للخلف لتقديم مسيرة السادات قبل أن يختاره جمال عبد الناصر ليكون نائبه. وفي مشهد يظهر فيه ناصر من ظهره قام بالدور مساعد المخرج محمود الخولي .. وقد خط الشيب شعر رأسه بينما السادات «أحمد زكي» يمين الكادر متواضعا أمام عبد الناصر وينتهي اللقاء بقول السادات «يديك طولة العمر يا ريس».

ثم ينقلنا المخرج محمد خان في قطع مفاجئ إلى السادات متسيدا يمين الكادر وهو يدخن «البايب»، العدسة المستخدمة تجعله في البؤرة تماما على حين يظهر علم مصر على اليسار كمساحات لونية ضبابية وعلى طول الفيلم تم التركيز على أحمد زكي «السادات» بهذا الأسلوب، وهو ضباب فني يختلف قطعا عن «عام الضباب» الذي تحدث السادات عنه كثيرا في خطبه - يقصد عام 72 مع تصاعد مظاهرات الطلاب ضده تطالبه بالحرب وعلى تنويعاتها ردد الشعب المصري مئات من النكت، قدم أحمد زكي إحداها في الفيلم في مشهد حميم بينه وبين ابنه جمال وقد صار شابا «المشهد الوحيد الذي يظهر فيه ابنه معه» يروي لأبيه بعد أن أخذ الأمان نكتة عن الضباب وفي نهايتها «أسالوا الحمار»، يبتسم أحمد زكي وبعدها سنشاهد تحولات كبيرة في شخصيته.

وكما انفرد السادات بالحكم بعد نجاحه في القضاء على من أسماهم مراكز القوى انفرد أحمد زكي بالفيلم تماما فيما عدا بعض المشاهد لجيهان شابة «منى زكي» وجيهان ناضجة «ميرفت أمين» كما برز الممثل الذي نراه للمرة الأولى «عبد الرحيم حسن» في دور صديقه «حسن عزت» زميل عمله السياسي قبل الثورة والذي ساعده على الهروب من السجن وكان سببا في تعريفه بجيهان وساعده في تزويجه منها، اختار محمد خان نمطا مميزا للصديق حسن بالشارب الدوجلاس والقبعة، تذكرنا بنجوم سينما الخمسينيات في مصر والعالم، وكاد اكتشاف محمد خان «عبد الرحيم حسن» أن يهدد «أحمد زكي» في المشاهد التي جمعتهما معا.

«أيام السادات» فيلم عن شخصية مؤثرة، الأحداث داخل الفيلم تُسرد فقط لإلقاء الضوء على شخصية السادات المركبة والتي تعيش في أزمات متصلة تظهر كأنها اختيار وليس قدر الشخصية مغامرة طموحة، تفهم قضية الوطنية وتمارسها على طريقتها بداية من الاشتراك في حادث اغتيال «أمين عثمان»

وهو سياسي مصري موال للإنجليز، وانتهاء بمبادرته لزيارة إسرائيل، مرورا باستخدامه للإخوان المسلمين لكي يقضوا على سيطرة اليسار على الحركة السياسية بين الطلبة والعمال، مما أدى إلى تزايد قوتهم حتى اغتاله أحدهم «خالد الاسلامبولي» يوم العرض العسكري في الاحتفال بنصر أكتوبر 1973، أصر السادات بشخصيته الانتحارية على عدم ارتداء الصديري الواقي من الرصاص ليموت في مشهد ظهر ضعيفا في فيلم صاغه مخرجه في أسلوب أقرب إلى الدراما التسجيلية حشد فيه كل محطات حياة الشخصية بدءاً من طفولته في القرية حتى اغتياله.

شخصية السادات التي يعرفها الكثيرون شخصية درامية بطبيعتها مما يؤسس لدراما قوية ولكنها تاهت في الفيلم في كثير من الأحيان وبرزت في مشاهد أخرى وسط اختيارهم «زكي، بهجت، خان» لسرد كل الوقائع بتفاصيلها الدقيقة.

نادرا ما يخلوا فيلم جيد من مشهد فائق يتذكره الجمهور ويبقى خالدا يردد الناس جمله الحوارية، ويعيدون أداء محتواه التمثيلي، وفي «أيام السادات» عدة مشاهد فائقة ولكنها متناثرة عبر الفيلم الطويل جدا الذي قارب الثلاث ساعات، والذي تأرجح إيقاعه فكان منضبطا في بعض الأوقات، بطيئا في أغلبها، فيأتي مشهد فائق يجعلنا نفيق من سبات كدنا نغط فيه أو ينبهنا من انتظار على أمل، تحقق جزئيا وكنا نأمل أن يتحقق كليا مع مخرج معروف عنه دقة الإيقاع وقال ذات مرة انه يعشق 90 دقيقة سينما، أي أنه يفضل أن يقدم أفلامه في طول ساعة ونصف، ولكن أسلوب الدراما التسجيلية وضع محمد خان ومعه فريق المونتاج «نادية شكري، و خالد مرعي» في مأزق كبير.

قدم محمد خان للسينما المصرية ثمانية عشر فيلما «18 فيلم» غالبيتها هامة وتستحق بجدارة لوحة «فيلم لـ.. محمد خان»، اشترك بالتمثيل معه في ثلثها «أحمد زكي» حيث مثل معه الأفلام: «موعد على العشاء، طائر على الطريق، زوجة رجل مهم، أحلام هند وكاميليا، مستر كارتيه، وأخيرا أيام السادات، ورجوعا لعناوين الفيلم فإن أحمد زكي ليس ممثلا فقط بل هو المنتج وصاحب المعالجة السينمائية، وعلى هذا فمسئولية الفيلم يتشارك فيها مع المخرج محمد خان وكاتب السيناريو أحمد بهجت، وصاحب المعالجة السينمائية أحمد زكي، التي ركزت على إبراز شخصية السادات بأبعادها الإنسانية دون تأليه كإنسان عادي، خفيف الظل ابن بلد وابن نكتة على حد التعبير الشعبي. «أحمد زكي / السادات» ظهر مراوغا يجيد الكذب وهو حلال في الحرب والسياسة صابرا على أعدائه في الحكم «علي صبري» الذي أدى دوره عطية عويس بإجادة وآخرون، متظاهرا بالضعف حتى قضى عليهم في مشهد يعد من أهم مشاهد الفيلم حيث حاربهم بسلاحهم الذي أسماه «قميص عبدالناصر» فعندما أعدوا له مظاهرة قبل الخطاب الذي سيلقيه في عيد العمال تردد فيه هتاف شهير «يا سادات، يا سادات، عبد الناصر فاتنا ومات»، لم يتوقف الهتاف إلا عندما طلب منهم الوقوف دقيقة حدادا على «عبد الناصر» ثم ردد خطابه المرتجل بموهبة الخطابة لديه: «عبد الناصر لم يمت.. وكلنا عبد الناصر» وكانت واحدة من لحظات القوة للسادات وأحمد زكي معا.

بعدها وفي مشاهد أداها بهدوء، نفذ إنجازه الثاني حيث أجبر الروس على احترامه بعد تشدده معهم والاستغناء عن الخبراء الروس فأرسلوا له السلاح المتأخر،

ثم أعد خطته العسكرية
التي لم يتوغل فيها
الفيلم كثيرا، ولم
تظهر القوى المؤثرة كلها، ولم يذكر الأمريكان إلا مرة واحدة فقط عند التعبير عن مخالفة معارضيه لرأيه أن 99 ٪ من أوراق اللعبة بيد أمريكا.

تقع مسئولية السرد العام للفيلم ورسم الشخصية على الثلاثة «خان وبهجت وزكي» وقد نجحوا في إبراز أزمة «أنور السادات» كشخصية واجهت معارضة في كل الأوقات، شخصية أجبرت على التعامل بقسوة.. «ديمقراطية ذات أنياب» لم يذكرها الفيلم بالقول ولكنها وضحت في لقائه مع طلبة جامعة القاهرة قبل مظاهرات عام 1977 التي أسماها السادات «انتفاضة الحرامية».

لاشك أن السادات كانت له مسمياته الخاصة التي أطلقها على كل الأحداث، والفيلم وقع في خطأ افتراض معرفة المشاهدين بهذه الأحداث، وعموما أتصور أن «أيام السادات» سيدفع شباب المشاهدين لمحاولة البحث من خلال القراءة عن حقيقة ما جرى في عصر السادات وما قبله.

مسئولية الصورة بكل تفاصيلها المتقنة يشترك فيها مع محمد خان كلا من المصور «طارق التلمساني» ومنسق المناظر ومصمم الملابس المبدع «أنسي أبو سيف» الذي نجح في استخدام الأماكن الحقيقية وما تحتويه من أثاث وإكسسوارات، واختار محمد خان زوايا تصويره بحيث ظهرت الشخصية محاصرة في إطار مقفل سواء باستخدام ستارة، أو ضلفتي باب مفتوحتين، مع إضاءة مبدع التصوير طارق التلمساني التي ركزت طوال الوقت على أحمد زكي بأسلوبية ميزت صورة الفيلم كله، كان السادات دائما في البؤرة ببساطة ووضوح، سواء كان طفلا أو شابا يتم التحقيق معه أو رئيسا منتصرا على خصومه متحكما في زمام البلد، وباستخدام عدسات صورت ما حوله باهتا - وخاصة في لحظات الصراع أو التفكير وعزلته عمن حوله وصورته في أزمة دائمة كبطل وحيد منبوذا ليس فقط من زملائه في مجلس قيادة الثورة، ولكن مع أسرته الأولى وزوجته إقبال، وحتى مع زوجته المحبة جيهان كان يبدو شاردا وخاصة في مرحلة أداء ميرفت أمين لشخصية جيهان السادات.

سطوة النجم لم تخف ملامح سينما محمد خان التي أسسها عبر أفلامه السابقة، لم تختف تماما بل ظهرت وخاصة في الأجزاء الحياتية مع بداية قصة حبه لجيهان ووقوفها معه في طموحاته. كما ظهرت في مشهد الزنزانة «54» والتي سيعود إليها كجزء من استرجاعه لمجمل حياته قبل الاغتيال.

أدت منى زكي دور جيهان شابة بموهبة حقيقية امتلكت روح الشخصية المشرقة المؤمنة برجلها، على حين بدت ميرفت أمين جادة وكئيبة بعيدا عن صورة جيهان السادات الحية في الأذهان.

أغلب الوقت كان أحمد زكي أنيقا حتى قبل تسلمه الرئاسة، وهو يعمل في المعمار كان أنيقا كأميركي في مزارع كاليفورنيا، على حين بدا متعبا وهو في مشاهد تخفيه بالجلباب وذقن غير حليقة. مستوى الصوت في الفيلم أكثر من جيد، موسيقى ياسر عبد الرحمن فرضت نفسها بأسلوب تقليدي جدا وخاصة مع بدايات الأحداث ولكنها ظهرت بدرجة توهج أقل في المشاهد الوثائقية أبيض وأسود التي استخدمها محمد خان بتكثيف شديد. في خطبة السادات في الكنيست تقاطع صوت الخطاب مع ردود أفعال اختيرت بعناية فائقة ووظفت مونتاجيا في تجسيد معان

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

مركبة، فها هو ديان ينزع عن أذنيه سماعة الترجمة عند ذكر نصر أكتوبر و هاشم: بيجن، مائير، رابين في صمت بليغ بعد القدس دولة لكل الاديان، احتفظ خان ونادية شكرى المونتيرة التي قامت بمونتاج كل أفلامه - بلحظات صمت السادات أثناء إلقاء الخطاب وخلقت انتقالات اللقطات داخل المشهد إيقاعاً موسيقياً ما بين صمت الإسرائيليين وصوت أحمد زكى الواثق الهادئ في تحسين للصورة الحقيقية التى أتذكرها للسادات عصبياً متوتراً يشوب صوته بعض الخوف وهو يلقي خطابه فى الكنيست. ولم يكن التحسين الذى أجراه أحمد زكى على إعادة أداء خطبة السادات الوحيد في الفيلم، بل كان أيام السادات كله معتمداً على تحسين صورة السادات والدفاع عن كثير من مواقفه الشهيرة مثل حادثة ذهابه إلى السينما ليلة الثورة، وتفاصيل اشتراكه فى اغتيال أمين عثمان و تفاصيل ابتعاده عن السلطة وتسلمه مجلس الأمة.

لم يسقط الفيلم فى مهاجمة أى رمز من رموز الثورة، فقط أظهر علي صبرى ومجموعة مراكز القوة بشكل سيئ.

أحاط زكى السادات نفسه بمشورات هيكل قام بأداء دوره مخلص البحيري ، وعاتب فى احترام وود أحمد بهاء الدين على مقال انتقد فيه سياسة الانفتاح، ولم يظهر فى الفيلم أرباب التطبيع من الصحفيين، بل ولم يظهر أنه كان للسادات مستشارون، بل ظهرت قراراته تنبع من داخله، مع بعض الآراء التى بدت ثورية جداً من جيهان زوجته المحبة التى أظهرها الفيلم وطنية جداً لا تتدخل فى الحكم إلا فى حدود القلق الطبيعى لأى زوجة تساند زوجها. مس الفيلم مسألة الاعتقالات مسا خفيفا، وما أسماه هيكل خريف الغضب لم يظهر بوضوح في الفيلم حيث تم انتقاء الجوانب الإيجابية غالبا مع الابتعاد عن أي مشاكل حقيقية مما يناسب الجهة المساندة للإنتاج في الفيلم التي تتبع وزارة الإعلام المصرية،ونعود لمسئولية أحمد زكي عن المعالجة السينمائية للفيلم.

السادات كما صوره أحمد زكي شخصية فرضت نفسها على الجميع حتى ممن خالفوا سياسات السادات ويحق لأحمد زكى أن يطلب من الجميع أن يشاهدوا الفيلم بعيداً عن الأفكار المسبقة، كما يحق له أن يقول أنه لا يقدم سياسة بل فناً، يقدم سينما.. سينما مصرية (كررها أكثر من مرة).

بالفعل السادات كما صوره أحمد زكى فى فيلم محمد خان أيام السادات شخصية مصرية بروح التفاؤل والقدرة على تجاوز الأزمات، بالحس الفكاهى وعفوا لؤم الفلاحين وهو تعبير عن الذكاء الفطرى الذى يمتلكه السواد الأعظم من الشعب المصرى الذى ينحنى أحياناً للريح دون أن يكف عن التفكير فى الدفعة القادمة.

حزنت كثيرا أن يقف المخرج محمد خان متراجعاً خلف فيلم قدمه فى شريحة فيلم النجم بعدما تعب كثيراً ليقدم لنا خمسة عشر فيلماً من بين مجموع أفلامه تستحق عن جدارة لوحة فيلم لـ.. محمد خان. أرجو أن يقلل النجم أحمد زكي من سطوته وألا ينسى أن محمد خان وأمثاله من مخرجي الثمانينيات في مصر كانوا وراء أفلامه الكبيرة وخاصة محمد خان وفيلمهما معا زوجة رجل مهم.

من حق أحمد زكي كمنتج أن يساند فيلمه، ومن حقنا كمحبين له ممتلا كبيرا أن نطلب منه أن يعود لقواعده سالما ممثلا فقط، وأن يترك باقي الأدوار لأصحابها من الكتاب والمخرجين.